المقتطف

الجزء الرابع من المجلد السابع والخمسين

١ اكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٢٠ — الموافق ١٨ محرم سنة ١٣٣٩

الحمى الملاريا ومكتشف سببها

قلما اكتشف اكتشاف ذو شأن الاَّ اشترك في اكتشافهِ كثيرون وقد لا يدري بعضهم بما اكتشفهُ البعض الآخر . ومن هذا القبيل اكتشاف سبب الحمى الملارية فان الذين اشتركوا فيهِ كثيرون من الاطباء وغيرهم ولكن الذي اعترف لهُ الاكثرون بانهُ اقام الادلة القاطعة على حقيقة الملاريا وكيفية انتقالها هو السر رونلد روص كما يعلم قراء المقتطف . ويسرُّنا ان احد الاطباء السوريين من خريجي المدرسة الكلية الاميركية اقام دليلاً على ان للبعوض علاقة سببية بهذه الحمى منذ نحو اربعين سنة ونشر رأيهُ في المقتطف كما ترى في الصفحة ٤٣٤ من المجلد الثامن اي في الجزء السابع منهُ الصادر في ابريل سنة ١٨٨٤ حيث قال

« لقد شاهدت امتداد الحمى الملارية (وهي التي تنجم عن المستنقعات) في راشيا مرتين في خريف ١٨٧٨ و١٨٨٣ وعلم ان من الاسباب الكبرى التي تحمل سم هذه الحمى من نبات المستنقعات هو البعوض المعروف بابي قاس . فالشخص الذي تمكن البعوض من لسعهِ اصابتهُ الحمى الملارية ومن وقى نفسهُ من لسعهِ سلم من هذا الداء . فمن اراد ان يقي نفسهُ منهُ فليصنع لسريرهِ كلة (ناموسية) تمنع دخول البعوض اليهِ »

وقد جرى بحث في مجلة نايتشر منذ بضع عشرة سنة ممَّن اثبت علاقة البعوض بالملاريا فكتبنا اليها بما قالهُ هذا الطبيب ونشر ذلك فيها . ثم رأينا الآن ونحن مسافرون الى اوربا رسالة السر رونلد روص في جريدة التيمس الصادرة في ٢٤ يوليو الماضي نلخص فيها تاريخ هذا الاكتشاف فرأينا ان نعربها بما يلي . قال :

سألني كثيرون ما هي العلاقة الحقيقية بين العمل العظيم الذي عملهُ صديقي المرحوم الجنرال غورغاس في التدابير الصحية الواقية من الملاريا وبين ما عملهُ البريطانيون وغيرهم في هذا الموضوع. ولما رأيت ان تفاصيل ذلك قلما ذُكرت على حقيقتها حسبتُ ان الخلاصة التاريخية التالية يرحب بها جمهور القراء الذين يتعذر عليهم الرجوع الى الكتب الطبية

يبتدئ هذا التاريخ منذ عهد بعيد فان القدماء كانوا يعرفون الملاريا (او الحمى الاجية) وقد علموا ان لها علاقة بالمستنقعات او الاراضي الوبئة وبالحشرات التي تكون فيها. فقد قيل ان امبيدقليس اتقذ سليتوس في جزيرة صقلية من الملاريا بنزح الماء من مستنقعاتها وكان ذلك سنة ٤٥٠ قبل المسيح. وذهب مورتن Morton. سنة ١٦٩٧ ولنشيسي Lancisi. سنة ١٧١٧ هذا المذهب. وبحث لنشيسي في امر البعوض في رومية واعتمد على نزح المستنقعات لاستئصال الحمى منها. وسنة ١٨٥١ اثبت كوخنميستر Knohenmeister ولوكارت Leuckart ان كثيراً من حليات الانسان والحيوان لا يكتفي بالمعيشة في نوع واحد من الحيوان بل يعيش في نوعين احدهما يغتذي من النوع الآخر. وسنة ١٨٥٨ ارتأى لوكارت ان الدودة المسماة دودة غانة تعيش في جسم الحيوان المسمى برغوث الماء وتنتقل منهُ الى الانسان. ثم اثبت فدشنكو Fedschenko ذلك بالامتحان. وسنة ١٨٧٧ ابان مانسون Manson ان دودة الفلاريا التي تسبب داء الفيل في الانسان تعيش في نوع من البعوض ولكن فدشنكو ومانسون لم يدرسا طبائع هاتين الدودتين الدرس الكافي

وسنة ١٨٨٠ اكتشف لافران A. Laveran ان سبب الحمى الملارية احياء صغيرة تكون في دم المحموم وتعدُّ بالملايين لكثرتها. وسنة ١٨٨١ ارتأى فنلي C. Finlay ان نوعاً من البعوض ينقل عدوى الحمى الملارية من المصاب الى السليم بلسعهِ ولكنهُ لم يقم دليلاً على ذلك. وسنة ١٨٨٣ قال كنغ A. F. A. King ان البعوض هو الذي ينقل عدوى الحمى الملارية من المستنقعات الى الناس وذكر ادلة كثيرة تؤيد ذلك. وفي السنة التالية ارتأى لافران وكوخ R. Koch ان البعوض ينقل عدوى الملاريا ولكنهما لم يؤيدا ذلك بالدليل. وبعد سنة ١٨٨٥ بحث كولجي C. Colgi وغيرهُ من الايطاليين في حمّى الملاريا. وسنة ١٨٨٩ ابان

سمث T. Smith وكلبرن F. L. Kilborn ان حمّى المواشي المسماة حمى تكساس تسببها احياء ينقلها القراد ولكنهما لم يجدا هذه الاحياء في القراد. وسنة ١٨٩٤ اقام مانسون دليلاً قوياً على ان البعوض ينقل عدوى الملاريا ولكنهُ قال انها تدخلهُ من المحموم فينقلها الى الماء المستنقع فتصعد منهُ مع بخاره وتدخل جسم السليم مع الهواء الذي يتنفسهُ. الاَّ ان الاطباء الايطاليين ناقضوهُ. وما من احد من اصحاب هذه الآراء اثبت رأيهُ بالامتحان مع انهُ كان يسهل عليهم ذلك

وسنة ١٨٩٥ الى ١٨٩٧ حاولتُ ان اجعل مكروب الملاريا يعيش في البعوض الذي من نوع كولكس Culex (البعوض العادي) او الذي من نوع ستغرميا Stegomyia فلم يعش فيهِ ولكنني تمكنت سنة ١٨٩٧ من جعلهِ يعيش في البعوض المسمى انوفيلينا Anophelina فثبتت من ذلك علاقة هذا البعوض بالملاريا. واضطررت حينئذٍ ان اقطع ستة اشهر عن البحث. ولما تعذّر عليَّ الامتحان في الناس التفت الى الملاريا التي تصيب الطيور وذلك سنة ١٨٩٨ فاستقصيت سيرها في البعوض وابنت ان مكروبها ينتقل الى غدد البعوض اللعابية ويصل منها الى الطيور التي تلسعها. وقد جعلتُ هذا البعوض يلسع ٢٨ طائراً فانتقلت الملاريا الى ٢٣ طائراً منها. ثم اضطرتني اشغال وظيفتي ان اقطع عن التجارب ولكن بعد ان اثبتُ بالامتحان ان البعوض لا ينقل مكروب الملاريا من المستنقعات الى الناس ولا من الانسان الى المستنقعات بل من الانسان الى الانسان. واطلع الاطباء الايطاليون على تجاربي فاجروها في الناس سنة ١٨٩٨ و١٨٩٩ وأعدوا اربعة رجال اصحاء في رومية بجعل البعوض يلسعهم

وسنة ١٨٩٩ ذهبتُ الى سرّاليون واتممت تجاربي في ملاريا الناس ووجدتُ نوعي البعوض اللذين ينقلان عدوى الملاريا في افريقية واظهرت طبائعهما بالامتحان وعلاقة الملاريا بالمستنقعات ووضعتُ حينئذٍ تفاصيل طريقتين لمنع الملاريا باستئصال البعوض ونشرتُ ذلك كلهُ سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠

وسنة ١٩٠٠ أعدى مانسون اناساً في لندن تطوّعوا للامتحان بأن جعل بعوضاً أُتي بهِ من ايطاليا يلسعهم. وفي اواخر تلك السنة اثبت ريد ولازير وكارول الاميركيون بالامتحان ان الحمى الصفراء تنتقل الى الانسان بواسطة البعوض الذي من نوع ستغرميا Stegomyia كما تنتقل الملاريا بواسطة البعوض

انوفيلينا Anophelina . وفي السنة التالية أمر غورغاس ان يستأصل الملاريا والحمى الصفراء من هاتنا باستئصال البعوض منها

ولما رأيت التهامل في استئصال الملاريا من الاملاك البريطانية ذهبتُ ثانية الى سراليون سنة ١٩٠١ واشتغلت باستئصال البعوض على نفقة بعض الاصدقاء ثم سرتُ الى لاغوس حيث كان حاكمها السر وليم مكرغور آخذاً في هذا العمل بنفسه . وفي تلك السنة ابتدأ العمل في استئصال البعوض في ملقا وهونغ كونغ وفيها نشرت دار التحف البريطانية اول رسالة في البعوض

وذهبتُ ثالثة الى سراليون سنة ١٩٠٢ ومنها الى الاسمعيلية حيث استأصلت شركة قنال السويس الملاريا بمجريها على طريقتي . وسنة ١٩٠٣ شرع بلفور في استئصال البعوض من الخرطوم . وسنة ١٩٠٤ دعتني حكومة الولايات المتحدة للذهاب الى بناما وقلما شرعت في حفر الترعة ولقيتُ غورغاس في نيويورك وانا ذاهب ونتائج عملهِ معلومة . وسنة ١٩٠٦ شرع روس E. H. Ross في استئصال بعوض الستيغوميا Stegomyia (بعوض الحمى الصفراء) من بورت سعيد . وزرت بلاد اليونان تلك السنة وجزيرة موريتيوس سنة ١٩٠٧ وبمباي سنة ١٩٠٩ واسبانيا واليونان وقبرص سنة ١٩١٣ للنظر في استئصال الملاريا وكان كلفلند قد قاومها في قبرص وقللها كثيراً

والخلاصة اولاً ان كل الآراء التي ارتآها الناس في هذا الموضوع حتى سنة ١٨٩٤ اشارت الى وجود علاقة بين الملاريا والبعوض ولكن كان الخطأ فيها اكثر من الصواب ولم يكن فيها كلها ما يدلُّ على نوع البعوض الذي لهُ علاقة بالحمى ولا على نوع المكروب وعملهِ . وهذان الامران وفقت انا الى اثباتهما في ٢٠ اغسطس سنة ١٨٩٧ فكانا مفتاحاً لكشف حقيقة الملاريا وحقيقة الحمى الصفراء ايضاً . وثانياً ان الطريقة الصحية لمقاومة الملاريا باستئصال البعوض وصفتها بالتفصيل سنة ١٨٩٩ قبلما استعملها غورغاس ولكنهُ هو استعملها ايضاً لاستئصال الحمى الصفراء . وثالثاً ان عمل مقاومة الحمى اشترك فيهِ اناس من كل الامم وكان للبريطانيين نصيب وافر منهُ ولكن هؤلاء البريطانيين ليسوا من رجال الحكومة وانا لم تستخدمني حكومتي لهذا العمل واما غورغاس فاستخدمتهُ حكومتهُ وعضدتهُ بكل جهدها .

ولقد قام بما طُلب منهُ خير قيام . ويسرنا ان الملك عرف فضلهُ قبلما مات